



المشاعرة والمُستأذنة قحام وافية في حوار خاص:
الأدب يبقى أدباً.. والكتابة الإبداعية لا تُصنف حسب جنس الكاتب

اسمٌ على مُسمى وهي الوفية لقلمها ولكل حرف وكلمة كتبتها وتكتبها لتُعبّر عن دُموم مُجتمعها وتُعالج مُختلف القضايا بلُغة سرديّة وشعرية وبكلمات ليست بالكلمات تُحب لُغتها وتحترمها كيف لنا وهي المُستأذنة والمُربيّة التي كرسّت حياتها وإختارت مهنة من أصعب المهن وأنبهها على الإطّاق ورغم كل هذا استطاعت التوفيق بين إبداعها ومسؤوليتها كأستاذة وامرأة جزائرية. أديبة وشاعرة دخلت عالم الكتابة من الباب الواسع من خلال إصدارين وهماي تُوأصل تَألقها وإبداعها بمخطوطها الجديد الذي يحمل عنوان يا آدم لا تسأل المصادر عن دار قيرطا للنشر والتوزيع بقسنطينة مُؤلف يحمل في طياته عدة أسئلة وحوارات شيقة بين آدم وحواء حُبها لعالم الصحافة ومهنة المتاعب التي لم يشأ المُقدر أن تدخلها لم يُحبط من عزيمتها بل زادها تَألقاً وبروزاً وأنت تكلّمها تحس بشاعريتها ورقتها وتعجب من صوتها الجهوري البُلبي ضيفتنا وضيقتكم اليوم المشاعرة والمُستأذنة قحام وافية التي شرفتنا بهذه الجلسة.

* عشق لم ينضج وحُب لم يكتمل مع تلك التي أحببتها حد المُنْخاع وتمنيت خوض غمار التجربة فيها مهنة المتاعب الصحافية التي لم يشأ المُقدر أن تكوني معها وبجنبها ماذا تقول لنا قحام وافية في هذا؟
كانت جدتي رحمها الله كلما شاهدت نشرة الأخبار تشير إلى المذيعة قائلة لأفراد أسرتي ابنتي ستصبح يوماً ما صحفية مثل زهية بن عروس لم أكن أفهم حينها لماذا هذا الاختيار بالذات ولعل رغبته تلك وجدت موقعا في نفسي وخاطري وقبعت في جزء كامن من أمنياتي وعندما إنتقلت إلى الثانوية ومن ثمة إلى الجامعة كان المُستأذنة يُثنون على طريقتي في عرض المبحوث قائلين تصلحين لأن تكوني صحفية فزيك مؤهلات لذلك مثل: الفصاحة وسلامة اللُغة ومخارج الحروف.

□ النص الإبداعي عند قحام وافية كيف تشكل ويتشكل يا تُر ؟ هل بالمُزلة ولحظات المصفاة؟ أم بالإنفعال والإنكسار؟
مثل المُخار والمصلصال الذي يتعرض للنار ليصبح أنية جميلة فعل الكتابة نشاط ينتج عن حركة إنفعالية تماما كما تتلاطم الأوجاع لتطرز حوافها بالزبد فلحظات الوجود هي التي تسبق المخاض الأليم من أجل ولادة نص بالنسبة لي لحظات الإنفعال والإنكسار هي التي تستنطق لغتي لتعترف بنص مؤثر وجميل في الوقت ذاته.

□ المكاتب جُزء لا يتجزأ من مُجتمعها الذي يعيش فيه ومعها بأفراحه وأحزانه ككاتبة ومُثقفة ما رأيك في كل الأحداث الوطنية والمدولية التي تحدث في مُختلف المجالات؟ وكيف في نظرك نستطيع مُجابهة الخطر الذي يُحدق بهذا العالم؟ □
بطبيعة الحال المكاتب ليس بمعزل عما يجري حوله فهو يتفاعل إما مؤثراً أو متأثراً بكل ما يدور في الساحة الفكرية الثقافية والاجتماعية والسياسية ويفترض من الكاتب أن يكون لسان الأمة الناطق ومرآتها في أن واحد لأن الأدب غاية ووسيلة كذلك ما يجري حولنا في الوقت الراهن هو بالمحصلة نتيجة عدة عوامل ساهمت كلها في تشكيل الوعي الفردي والجماعي كذلك في تغيير كثير من المسارات الفكرية والاجتماعية والرؤى السياسية كذلك تبعاً لما تمليه الظروف الحالية لاسيما في وقت أصبح التعبير عن الرأي مكفولاً بشتى أشكاله. التقدم العلمي والتكنولوجي جعلنا نشهد عصر المعلوماتية وثقافة الصورة بامتياز في حين كان الخبر حكراً على وسائل الاعلام والاتصال المرئية منها والمسموعة والمقروءة هاهي كل قنوات التواصل الاجتماعي تؤثر إن سلباً أو إيجاباً في توجيه الرأي الجماعي فأصبح العالم يواجه تحديات غير مسبوقه من الصعب حصرها وإزاء ذلك على الفرد أولاً والمجتمع ثانياً العمل على تعزيز منظومة القيم الإنسانية كالخير الحقيقية والمساواة من شأنها أن تخفف من حمى الثورات وتضخ شيئاً من الطمأنينة لمجابهة مخاوف المستقبل المجهول.

□ المرأة الكاتبة هل في رأيك إستطاعت التخلص من القوقعة التي وضعها رأي الناس فيها ومُنافسة أخيها الرجل في هذا المجال الإبداعي؟ وهل تقوم المرأة المُثقفة العربية والجزائرية على وجه المُخصوص بدورها في مُجتمعها في مُختلف المجالات على أكمل وجه أم أن هناك تقاعس ومُعيقات تمنعها من ذلك؟

□ نخالف الصواب ولما نجانب الحقيقة المؤسفة إن قلنا أن العنصرية مست الأدب لإعتبارات ذاتية بحتة. بابتداع مصطلح الأدب النسوي فالأدب يبقى أدباً والكتابة الإبداعية لا تصنف حسب جنس الكاتب وهذا يقودنا إلى القول بأن المرأة المبدعة ما زالت تلقى معيقات إجتماعية في أغلبها موروثاً لازلت المرأة تتحرك في أضيق الحدود ويحذر شديد لإنعدام الدعم الأسري والمجتمعي المكافي ولما زالت تقبع تحت السلطة الذكورية للأب أو الأخ أو الزوج ليس من الحكمة التحجج بشماعة الظروف لكن بعض الأماكن التي قد تراها المرأة فسحة للإبداع ونافذة لأمل مشرق من أجل غد خالي من العقد والمخاوف قد يراه البعض تمرداً لذات الأسباب التي سبق ذكرها. من هنا في كثير من الأحيان يصبح النص الإبداعي هو البوابة إذا انطلق نحو الخارج ويصبح باب السجن والكاتب سجان ومسجون في نفس الوقت إن كنا نكتب من أجل أن تقبع الكلمات في الأدرج والرفض خوفاً. من ذور الظهور كي لا تحترق بنار الآخر الراضة للبروز النسوي على الساحة.

□ نعود للوراء وبالضبط إلى حبيبتي إسمها المشام وضحيج الصمت حديثنا عن هاتين التجربتين؟ وما هي أهم المواضيع التي تناولتها في هذين الكتابين؟

حبيبتي اسمها المشام طبع بالعراق الحبيبية وإخترت الإسم تيمناً بالمشام السورية أول ما علمتنا إياه المدرسة الجزائرية أنشودة بلاد العرب أوطاني. وأجمل ما تميز به الجزائريون وأنا منهم بكل فخر هو حب الإلتواء والإعتزاز بالقومية العربية أحب وكلنا نحب الدول العربية المشقيقة. لذلك خصصت أشعاراً لوصف تضاريس الجرج العربي وحاولت التعبير ولو قليلاً عن هذا الحب. أما ضحيج الصمت جمعت فيه مع المقول اللامقول. فأجمل الكلام هو المسكوت عنه. والصمت لنا يعني أبداً أن الكلام قد مات أبلغ الكلام هو ما بقي يدور في النفس والذهن فتبدوا صامتا ولكن لديك الكثير لتقوله وهذا هو الضحيج. أما ما جاء فيه هو مزيج من العواطف الإنسانية التي تخص المرأة الحب الوطن. فتراوحت الخواطر بين القصير والطويل والموزون والمنثور. لكنني في كل كتاباتي أعتبر إن اللغة هي عروس النص وهي الملكة المتوجة ليس إهمالاً لفكرة لكن المبدع يستطيع أن يعبر عن نفس الفكرة بأكثر من طريقة وأكثر من أسلوب فيكون مذاق الفكرة مختلفاً مع كل تغيير في المفردات.

□ يا آدم لا تسأل هو إصدار جديد لك عن دار قيرطا للنشر والتوزيع بقسنطينة أو ما كيف كانت تجربتك مع الدار؟ وماهي ظروف كتابة هذا المخطوط؟ والرسالة التي تريد إيصالها؟

كان الأمر في غاية السلاسة بعيداً عن أي تعقيد تواصلت مع المشرف على الدار وأبدت رغبتني في النشر عن طريقهم ولله الحمد لقيت نصوصي قبولاً وإستحساناً وكان باب المشاورة والحوار مفتوحاً كنت سعيدة لأن اقتراحاتي تلقى صدراً رحباً و آذاناً صاغية شعرت لوهلة أنني أنا المسيرة لأن المشرف على الدار يأخذ طلباتي بخصوص الإخراج بعين الإعتبار ويعرضها على أهل الاختصاص ومن ثمة نتفق على رأي موحد وإستطاعوا بحق أن يكونوا الشريك المثالي لإنجاح العمل الإبداعي وإخراجه في حلة جميلة وكلي أمل أن يكون المظهر توأمًا للمخبر ويتطابق الشكل مع المضمون من أجل الكتابة ومن أجل لغتي حبيبتني الآن ودائماً وهم مشكورون على الدعم والمساندة وأريد أن أوجه رسالتي للطاقات الموهوبة كونوا مع العطاء دائماً بالإحساس والكلمة ربما ما لم تقله اليوم لن تجد وقتاً لتقوله غداً أطلقوا العنان لأفلامكم ولما تخشوا شيئاً فالزمن كفيل بغربلة الغث من السمين والجيد من الرديء فقط حللوا بأجنحة الإبداع من أجل الكلمة النقية والمهادفة وفعل الكتابة هو بصمة في حد ذاته.

□ كيف عاشت المشاعرة والأدبية قحام وافية فترة الكورونا على المستوى الشخصي والإبداعية؟
في الحقيقة رغم أن الوقت كان متاحا بسبب الحجر الصحي لكن الأثر النفسي بسبب أخبار الحصيلة اليومية وإرتفاع عدد الاصابات والموفيات قد أثر على الجميع فبات من الصعب الشعور بالأمان والاسترخاء لذلك قرأت بعض كتب علم النفس وكتبت قصة عن يوميات أغلب الأسر في ذلك الوقت خاصة منها الجزائرية...عدا ذلك لقد إلتزمت بقسط كبير من فترات الحجر ولم أكن أغادر المنزل إلا للضرورة التي تستلزم الخروج. لاسيما في الشهور الأولى لإنتشار الوباء.

□ كم ربية ومُدرسة للعلم كيف ترين مُستقبل القراءة بين الأجيال القادمة؟ هل تستبشرين خيرا وما هي الإجراءات الواجب إتخاذها لإنقاذ ما يُمكن إنقاذها؟
لابد من التفاؤل فجرعة منه قد تخفف من وخزات الإحباط التي تخز مخاوفنا وتستثير رهبتنا من القادم لكن بإعتباري أستاذة لغة عربية يُؤسفني القول أن التلاميذ بحاجة إلى تحبيبهم في العلم أولا على التلميذ أن يحب العلم قبل أن يتلقاه فالحب والمدافعية محركان أساسيان لإستتارة الجاهزية لاسيما في ظل كثافة المناهج وطغيان مبدأ الحشو المفرط مما يستنزف طاقة المتعلم وجهده ووقته وهذا يفرض بنا إلى الإشارة إلى عزوف بعض التلاميذ عن القراءة وهي فاكهة المتلقي وغذاء للعقل والروح كذلك القراءة. تساهم في إتساع مدارك المتعلم وتثري رصيده اللغوي والمعرفي..لذلك أقترح أن يحرص المعلم وكذا الأولياء على تحبيب القراءة إلى نفوس التلاميذ لاسيما في مرحلة الطفولة وجعل النص يقترب من ميولاتهم وإهتماماتهم ويعكس طموحاتهم وأن يكون الكتاب متنفسا وصديقا فهو خير جليس في الأنام وفي الزمان فالقراءة هي حياة مختلفة وبالقراءة نخلق عوالم أجمل ونسقي الإبداع ليصبح أكثر خصوبة وهكذا لن يجد المتعلم في فهم المقروء ولما في التعبير والتواصل مع الآخر فأهم آليات التواصل الناجح هي التمكن من اللغة ولن يتأتى ذلك إلا بممارسة القراءة وبكثافة. □

□ من هو مُهمك من شعراء الماضي؟

أنا أعتبر نفسي كلاسيكية حد النخاع وقد أحببت اللغة والأدب من مناهج المدرسة الأساسية وتعلقت بالمطالعة كثيرا خاصة في مرحلة التعليم الثانوي فكنت أقرأ كثيرا لملهمي الراضي لما في لغته من حكمة وروحانية عذوبة وعمق في الفكرة وتفرد في الأسلوب وأحببت كتابات العقاد وطره حسين المنفلوطي وتوفيق الحكيم وأنيس منصور وإلياء أبو ماضي ولما أدري على وجه التحديد من كانت طريقتهم منهجي في إستعمال رموز الطبيعة بكثرة وتبني المذهب الرومنسي في الفكرة والكلمة والرمز.

□ قحام وافية صاحبة الصوت المشجي البُلْبُلِي هل كانت لك تجارب إنشادية من قبل؟ وهل لك مشاريع صوتية؟

حتى لا يعتبر مدحا أنا بشهادة الأهل الأصدقاء والزميلات في العمل أملك ولله الحمد صوتا جميلا يساعدني في القراءة الجيدة والإلقاء الشعري أو النثري أو تلحين الأناشيد المدرسية إن إستدعى الأمر لكن لم تكن لدي أي تجارب في هذا المضمار أنا فقط أولف كلمات أغاني أددننها مع نفسي أو مع المقربين..أما عن المشاريع أنا أتمنى أن يكون لي عمل غنائي ديني أو وطني عن الجزائر أو فلسطين أو إعادة إحياء عيون القصائد العربية لأنني أحب الغناء بالعربية الفصحى كثيرا.

□ ما محل إعراب الشعر في حياتك الإبداعية وأيهما الأقرب إليك الشعر أم النثر؟

يمر الإنسان بتجارب فينضج مع الأيام وتتضح معالم موهبته كنت أحاكي الشعر العمودي ثم كتبت الشعر الحر ولكنني مؤخرا غصت في عالم الكتابة النثرية أكثر لكنني لازلت أكتب القصائد من حين لآخر كلما تكرم الإلهام بزيارتي وحط رحاله على ضفاف مخيلتي..لكن بالنظر إلى النصوص التي كتبتها مؤخرا من قصص قصيرة وخواطر شعر منتور أجد نفسي في ساحل الكتابة ولما أدري ما تخبئه الأيام لي مستقبلا نسأل الله العون والسداد.

□ ما هي مشاريعك المُستقبلية في المُستقبل في مجال الكتابة؟

الأفكار في الحقيقة كثيرة وطوابير من الأمال المعلقة تنتظر دورها على باب الأيام أمل أن يسعفني الحظ والمجد لتحقيقها أفكر في كتابة سلسلة قصص دينية للأطفال وأن أطبع قصصا لأدب الطفل لانتزال مخطوطة فقط لدي خواطر شهر زاد وقصص قصيرة عن شهداء طائفة بوفاريك ونصوص عن أجمل زمن عشته ارسم من خلالها أجمل ذكريات الجيل الذهبي كما بودي أن يكون لدي بصمة في مجال البيداغوجيا والتعليم وأن أعبر عن حبي لمادتي السيمياء وتحليل الخطاب من خلال تحليل نصوص سيميائياً ودلالياً

هذه هي حقيقة أحلامي في الوقت الراهن.

□ من هو مُلهمك في الحياة الإبداعية وهل واجهت صعوبات في دخول هذا المجال الأدبي؟
ملهمي ومفجر موهبتي هو جدتي رحمها الله رغم أنها أمية كأغلب الجزائريات والأمهات في مثل سنها إلا أنني تعلمت منها الكثير
أما أمي فصوتها جميل جدا عندما تغني وهي تقوم بأعمال المنزل كانت منذ سنوات تؤلف شفاهة الشعر الملحون لكن يبدو أن
موهبتها إنطفأت مع الأيام.
على صعيد التحديات واجهت الأقطاف مثل كثيرات من بنات حواء ولعل أهم قفص هو قفص الذات فأنا خجولة وأفضل العزلة
والهدوء لكن الأمر صار أحسن بعد إنخراطي في إتحاد الكتاب الجزائريين فرع ولاية أم البواقي ورغم أنالدعم قليل والمساحة ليست
عاملا مساعدا بالشكل الكافي. فالمناخ مهم للإبداع مثل ظروف إنتاج أي نبات فتي.

□ كلمة أخيرة..

شكرا لوالدي..شكرا وحباً وعرفانا ووفاء لجدتي رحمها الله وصبراً وجلداً لنفسي التي أثقلتُ عليها وأثقلت علي لكنني فخورة بها
وسعيدة لأنني في مصالحة معها رغم هبوب الريح ورغم الضباب.
وسأقول ما قاله إيليا أبو ماضي: كن جميلاً ترى الوجود جميلاً.
حاورتها: ح. و